أم الغلمان ترتب للرحيل

خَرَجْتُ مِنْ عِنْدَهُ وَقَدْ اِخْتَمَرْتُ فِي رَأْسِهَا الأَفْكَارِ

فَبِلَادُهُمْ تخْرِجُ مِنْهَا القَوَافِلَ مَرَّةً فِي الشَّهْرِ

وَلِأَنَّهَا تَعْرِفُ أَنَّ القَاضِيَ سَيُرْسِلُ مَنْ يَتْبَعُهَا

وَلَنْ يَتْرُكْهَا لَيْلَ نَهَارَ

عَادَتْ لِبَيْتِهَا وَخَرَجَتْ

مِنْ الخَلْفِ بِشَكْلٍ غَيْر شَكْلِهَا

وَقَدْ وَضَعَتْ الخمار عَلَى وَجْهِهَا

وَاِتَّجَهْت إِلَى مَكَانِ القَوَافِلِ

قَابَلَتْ كَبِيرَهمْ

وَتَسَاءَلْتَ بِصَوْتٍ خفيض مَتَى تَخْرُجُونَ؟

وَإِلَى أى من بِقَاعِ الأَرْضِ ترَحِّلُونَ

قَالَ عِنْدَ اِكْتِمَالِ القَمَرِ يُكَوِّن الرَّحِيل

إِلَى جِهَاتِ الأَرْضِ الأَرْبَعَةُ بِلَا تَأْخِيرٍ

قَالَتْ أَنَا اِمْرَأَةُ وَحيدة لِي أَب مَرِيض

وَزَوْجِي فِي الحَرْبِ مَات شَهِيد

وَتَرَكَ لِي غِلْمَانا وصبية. وَقَدْ جَارَ عَلَيْنَا الزَّمَانُ

نُرِيدُ أَنْ نُرَحِّلَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا يَنْبُوعَ مَاءٍ لِلِاسْتِشْفَاءِ

وَأَنْ تَكُونَ شَمْسَهَا مَشْرِقِة وَحَدَائِقَهَا غِنَاء

وَإِنْ يَعْرِفُ أَهْلَهَا مَعْنِيَّ العَدْلِ

وَأَلَّا يُطَوِّلُ بِهَا خريف أوشِّتَاء

تبسم قائل يَا اِبْنَتي أَنْتِ تَطْلُبِينَ الجِنَانَ

وَهِيَ فِي السَّمَاءِ

إِمَّا الأَرْضُ فَحبْلِي بِالشَّقَاءِ

إِذَن إِلَى أَيْنَ أَذْهَبُ بِأَبِي لِلعِلَاجِ؟

دَعِينَى أَخْتَارُ لكُمْ أَرْضِا بَعِيدَةً

نعم فكل ماأُرِيدُ أَنْ يَسْتَعِيد أَبِي أَيَّامَهُ السَّعِيدَةَ

أَتُرِيدينَ وَاد ، أم وَاحُهِ ، أمْ مَدِينَةٌ؟

أرِيد أَرْضا بَعِيدَةٌ خُلُقهَا قَلِيلٍ وَخَيْرِهَا وَفِيرَ

قَالَ هُوَ وَادِي الأَحْلَامِ

سَتَعِيشُونَ هُنَاكَ فِي سَلَامٍ

قالت هاك بَعْضُ الَمَالَ
وعليك ِأَنْ تَعد لِنَّا الرُّحَّال

نَاقَتَيْنِ وَاحِدَةٌ لَأَبَى المَرِيض

وَالثَّانِيَةُ لِي وَلِابْنَتِي. وَحِصَانَينِ لِلوَلَدَيْنِ
وبعض الزاد ولا مزيد

قَالَ وَبِاسْمِ مَنْ أُنَادِيكُمْ؟

قالت نحْنُ عَائِلَةُ الشَّيْخ مَسْعُود

أَخْبِرْنِي الآن مَتَى إِلَيْكَ نَعُود؟

قال عِنْدَ اِكْتِمَالِ القَمَر يَكُونُ الرَّحِيل

بِلَا تَأْخِيرٍ وأتمنىَ أن أُحقق لكم الأمل المنشود

وَعَادَت مُسْرِعَةً فَقَدْ كَانَ طِفْلُهَا عِنْدَ زَوْجَةٌ حَسَّان

وَرَاحَتْ تَدْعُوَ لِهُمْ السَّتْرَ وَالأَمَانَ

دَخَلَتْ مِنْ خَلْفِ الدَّارِ وَأَعَادَتْ تَرْتِيبَ شَكْلِهَا

وَخَرَجْتُ مِنْ الأَمَامِ وَأَخَذَتْ طِفْلَهَا

وَأَكْثَرْت مِنْ الشُّكْرِ لَهَا

عَادَتْ وَأعَدَتْ الطَّعَامَ

فَقَرِيبًا يَعُودُونَ وَرَاحَتْ تَدْعُو لِهُمْ بِالسَّلَامِ

أَقْبَلَ الغِلْمَانُ. وَقَدْ تَغَيَّرْتُ وَجَوُّهمْ

وَأَصْبَحُوا بَعْدَ النَّعِيمِ فِي جَحِيمٍ

أَطْعَمَتْهُمْ وَقَالَتْ تَعَالَوْا

يَا أَبْنَائي عِنْدَي لِكُمْ قِصَّةٌ

هَاتِ يَا أمِي وَنَحْنُ لَكَ مُنْصِتُونَ

وَلِكُلٍّ مَا تَأْمُرِين بِهِ طَائِعُونَ

وَقِصَّت قَصَّتْهَا وَحَبَّكَتْ مَعَهُمْ حِيلَتَهَا

وَقَالَتْ لِتَكُنَّ عِنْدَكُمْ هِمَمَ الرِّجَالِ

وَلَا تَخْشُّوهُمْ فَهُمْ سَرَابٍ وَخَيَال

وَ اِعْلَمُوا أَبْنَائِي جَرَائِم البَشَرِ لَا يَخِطْهَا القَدْر كَمَا يَدَعُونَ

بَلْ هُوَ تَلَبَّسَ الشَّيْطَانُ وَأَحْلَامُ العَظْمَةِ بِهَا يَتَشَبَّثُونَ

كُلٌّ مَا عَلَيْنَا أَنْ نُحَدِّدَ نِقَاطَ ضعْفِهِمْ

وَنَجْعَلُ أَطْمَاعَهُمْ مشنقة تَتَحَكَّمُ بِأَحْلَامِهِمْ.

وَهُنَا سَنَكْسبُ وَيُخَسِّرُونَ.

قَالُوا فَهْمِنَا يَا أمِي. وإنا لهم داحرون.